



جامعة عبد المالك السعدي  
fo@A@LJf | ho@A@LJf @o@hA@  
Université Abdelmalek Essaadi



كلية أصول الدين بتطوان  
Faculté Oussoul Eddine de Tétouan

# ماستر الفكر الإسلامي والحضارة بالمغرب الفصل الثالث

عرض في مادة المناظرة الفكرية بالمغرب

حول

مناظرة الفطاحل

بين الإمام الباجي  
وبعض علماء عصره



إعداد الطالب  
سميرة عبادة

إشراف الأستاذ الدكتور  
توفيق العلوي

رقم التسجيل: 23/276  
السنة الجامعية: 1446 هـ / 2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تصميم العرض

مقدمة

**المحور الأول: المناظرة في الفكر الإسلامي**

المطلب الأول: المناظرة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: مشروعية الجدل والمناظرة من القرآن والسنة.

المطلب الثالث: أركان المناظرة وأهميتها في تطور الفكر الإسلامي المغربي

**المحور الثاني: الامام ابو الوليد الباجي الفقيه المناظر**

المطلب الأول: في ترجمة الامام الباجي

المطلب الثاني: اسهاماته الفكرية والعلمية

**المحور الثالث: مناظرة الامام الباجي لكوكبة من علماء عصره**

المطلب الأول: مناظرات الامام الباجي بالمشرق

المطلب الثاني: مناظرات الامام الباجي بالأندلس

خاتمة

## مقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى علم نافع وعمل صالح، وجعل لنا طريقاً سالكاً بنور علمه ليتم علينا نعمته، وبركة فضله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين آمين.

ديننا دين حياة؛ والحياة تقوم على تفاعلات إيجابية وسلبية، بين أخذ ورد، ناهيك عن التآلف والاختلاف. ومن هنا نشأ الحوار كحل سلمي وحضاري للوصول إلى نتائج وحلول ترضي كافة الأطراف. فلا جرم أن تجد العقل البشري يكد ويجتهد في تقديم فهم متميز لسنن الحياة في محاولة لإخضاعها لضوابط الشرع قصد جعله مواكبا لمتطلبات الواقع ومستجدات الوقائع عبر العصور. ولعل المناظرات الفكرية أحد أرقى وجوه الحوار وهذا ما سنلمسه مع مناظرة الفطحل الامام الباجي المالكي لكوكبة من علماء عصره. فما هو قدر هذا العالم وإسهاماته في الفكر الإسلامي الأندلسي والمغربي؟ وما هو محل النقاش وموضوع المناظرة التي دارت بينه وبين بعض علماء عصره؟ ولأعرض هذا الموضوع ارتأيت تقسيم عرضي هذا إلى ثلاث محاور أساسية كالآتي:

المحور الأول: المناظرة في الفكر الإسلامي بالأندلس والمغرب

المحور الثاني: الإمام ابو الوليد الباجي الفقيه المناظر

المحور الثالث: مناظرة الإمام الباجي لكوكبة من علماء عصره

وبسم الله نبدأ.

# المصباح الأول: المناظرة في الفكر الإسلامي بالأندلس والمغرب

## المطلب الأول: المناظرة لغة واصطلاحاً

### • المناظرة في اللغة

المناظرة مشتقة في اللغة من النظر، والنظر يدور في اللغة على معنيين اثنين:

1 - المعنى الأول: النظر الذي هو حس البصر ورؤيته، ومنه قوله تعالى: [وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ<sup>(1)</sup>]

2 - المعنى الثاني: النظر بمعنى التفكير والتأمل، ومنه قوله تعالى: [أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(2)</sup>]

قال ابن فارس رحمه الله: النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته. وحيّ جَلالاً نَظَرَ: متجاوزون ينظر بعضهم إلى بعض. ومادة نظر ترجع إما إلى تأمل الشيء وهو النظر الذي بمعنى التفكير والتأمل، وإما إلى معاينة الشيء وهو النظر الذي بمعنى حس البصر ورؤيته. وقد جعل بعض الباحثين أصلاً ثالثاً ترجع إليه مادة نظر: وهو النظر بمعنى الانتظار، والصواب أن هذا المعنى يرجع أيضاً إلى معنى النظر بعين البصر أو البصيرة، فما هو إلا فرع مقيس على الأصلين المذكورين كما بين ذلك ابن فارس رحمه الله. فقال: ويقولون: نظرت، أي: انتظرت. وهو ذلك القياس، كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه، وقال: ومن باب المجاز والاتساع قولهم: نَظَرَتِ الْأَرْضُ: أَرَتْ نَبَاتَهَا. وهذا هو القياس. ويقولون: نَظَرْتُ بَعِينَ. ومنه نَظَرَ الدهر إلى بني فلان فأهلكهم. وهذا نظير هذا، من هذا القياس؛ أي أنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء. وبه نَظَرَةٌ، أي شحوب، كأنه شَيْءٌ نَظَرَ إِلَيْهِ فشحب لونه، والله أعلم بالصواب، وعليه فكل استعمال غير هذين الاستعمالين - كالانتظار وغيره - إنما هو مستعار منهما ومقيس عليهما<sup>(3)</sup>. وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "النظر؛

1 - القيامة: 22 - 23.

2 - الأعراف: 175.

3 - مقاييس اللغة (5 / 444).

تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته". "والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته" (1).

ويعرف الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المناظرة بقوله: فالمناظرة في اللغة: المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر. (2)

### • المناظرة اصطلاحاً

عرف الجرجاني رحمه الله المناظرة في الاصطلاح بأنها: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب" (3)، وتابعه على هذا التعريف المناوي في "التوقيف على مهمات التعريف، وأبو البقاء الحنفي في "الكليات، ومن الفقهاء صاحب حاشية الجمل على شرح المنهج البيجرمي في "حاشيته على المنهج". وعرفها عبد الوهاب الآمدي رحمه الله أنها: تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق. (4) على العموم يمكن أن نقول إن المناظرة اصطلاحاً: هي المحاورة في الكلام بين جانبين مختلفين، في قضية ما، إظهاراً للحق والصواب. (5) وبذا تتجلى لنا أركان المناظرة الفكرية، والتي ستطرق لها بالمطلب الموالي.

### المطلب الثاني: حكم مشروعية الجدل والمناظرة من القرآن والسنة.

كسر الحكماء الجدل والمناظرة من حيث الحكم على رأسي سهمين: بين محمود ومذموم، وأما الجدل المحمود وهو المناظرة فمشروع ومطلوب، ووردت في مشروعيتها أي من الذكر كما يلي:

### • من كتاب الله العزيز

1 - المفردات (ص: 517).

2 - آداب البحث والمناظرة (ص: 139).

3 - التعريفات (ص: 297).

4 - شرح الوالدية في آداب البحث والمناظرة (ص: 75).

5 - المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لهيثم قاسم موسى الحمري، دار النصيحة - الرياض الطبعة: الأولى،

1440 هـ / 2019 م (ص: 38-38).

نرصد تنوعاً في دلالات القرآن الكريم على مشروعية المناظرات المحمودّة -وما في معناها- وجوازها: منها الأدلة المصرحة بالأمر بها والحث عليها كقوله تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَاتَّبِعْ عِظَةَ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلُغَةٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ<sup>(1)</sup>].

وقوله تعالى: [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَنَّاكَ أَكْثَرُ جَدَاثِنَا<sup>(2)</sup>]

وكذا قوله تعالى: [أَمْ تَرَاهُ الذِّى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ<sup>(3)</sup>] ، ومنها الأدلة المثنية على من قام بمحاجة ومناظرة أهل الباطل كما قال سبحانه بعد حكاية مناظرة إبراهيم -عليه السلام- مع قومه: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ<sup>(4)</sup>]

### • من المشكاة النبوية الشريفة

فقد دلت السنة بأنواعها القولية والفعلية والتقريرية على مشروعيتها، فمن السنة القولية قوله ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم"<sup>(5)</sup> ، وقال ابن حزم رحمه الله: وهذا حديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله".<sup>(6)</sup> ومن السنة الفعلية مناظراته ومحاوراته الكثيرة مع المشركين، ومناظرته مع اليهود، ومناظرته مع ابن صياد وغير ذلك.<sup>(7)</sup>

1- النحل: 125 .

2- هود: 35 .

3- البقرة: 258 .

4- الأنعام: 73 .

5- رواه أحمد (12246)، والنسائي (3096)، وأبو داود (2504)، والحاكم (2427)، وابن حبان (4708) وغيرهم، كلهم من طريق حماد بن سلمة عن حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

6- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/ 26).

7- المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، هيثم قاسم موسى الحمري، (ص: 38-38) .

## المطلب الثالث: أركان المناظرة وأهميتها في تطور الفكر الاسلامي المغربي

### • أركان المناظرة الفكرية

المناظرة لا تسمى مناظرة حتى تجمع باختصار ثلاثة أركان رئيسة لا تقوم إلا بها، وهذه الأركان هي:

الركن الأول: موضوع مختلف فيه، تجري فيه المناظرة.

الركن الثاني: طرفان متناظران، بين شخصين أو جانبين مختلفين.

أحدهما: مُدَّع، أو ناقل خبر: ويسمى في علم المناظرة مانعاً أو معللاً.

والآخر: معترض عليه: ويسمى في علم المناظرة مستدلاً أو سائلاً. (1)

والركن الثالث: أن يكون الهدف منها إظهار الحق والصواب.

### • أهمية المناظرات في تطور الفكر الإسلامى بالمغرب ولا ندس

لطالما احتفت الحضارة الإسلامية بالنقاشات الدينية، التي اعتبرت العرق النابض و المحرك الرئيس لبروز تيارات فكرية وفروقات كلامية وفقهية الخ، وعلى إثرها أُسِّست العديد من الفرق والمذاهب والنحل والجماعات وذاع صيتها، وكتبت مجلداتٌ لا تعدُّ ولا تحصى أثرت المكتبة العربية الإسلامية، ومن بين هذه المناظرة مناظرة عبد الله بن عباس للخوارج حينما خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين الشيخ السلفي المعروف ابن تيمية المتمسك بالكتاب والسنة والإجماع، وبين الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري من كبار علماء التصوف، وحدثت هذه المناظرة التاريخية في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون بسبب ظهور أشياء عند الصوفية فيها استخفاف بأداء العبادات كما كان يرى الطرف المقابل. كما جرت مناظرة بين بن تومرت وفقهاء دولة المرابطين بالمغرب الأقصى، وذلك بأمر من والي المدينة فتفوق عليهم. ومن أشهر المناظرات كذلك مناظرة

1- نفس المصدر السابق (ص: 35) .

أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج مع محمد بن داوود قاضي بغداد<sup>(1)</sup> ، وتناظر علماء المالكية مع  
نظرائهم من المذاهب الفقهية الأخرى وشكّلت محاوراتهم إثراءً لا يمحي في الفكر الاسلامي.

---

1 - قيمة المناظرة في إثراء الفكر الإنساني، مقال الكتروني بموقع الجزيرة، لعادل أعياشي، صادر بتاريخ: 2018 / 7 / 31.

/ قيمة-المناظرة-في-إثراء-الفكر-الإنساني 31 / 7 / 2018 <https://www.aljazeera.net/blogs>



## المصور الثاني: الإمام أبو الوليد البلخي الفقيه المناصر

المطلب الأول: في ترجمة الامام الباجي (403-474هـ)

الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي، صاحب التصانيف أصله من مدينة بطليوس فتحول جده إلى باجة -بليدة بقرب إشبيلية- فنسب إليها، وما هو من باجة المدينة التي بإفريقية التي ينسب إليها الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وابنه الحافظ الأوحاد أبو عمر أحمد بن عبد الله بن الباجي، وهما من علماء الأندلس أيضا. ولد أبو الوليد في سنة ثلاث وأربعمئة في ذي الحجة، وأخذ عن: يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، ومحمد بن إسماعيل، وأبي بكر محمد بن الحسن بن عبد الوارث. ارتحل إلى المشرق وأخذ عن كوكبة من الجهابذة فبرز في الحديث والفقه والكلام والأصول والأدب، ثم رجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم غزير، حصله مع الفقر والتقنع باليسير.

حدث عنه: أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وأبو بكر الخطيب، وعلي بن عبد الله الصقلي، وأبو عبد الله الحميدي، وأحمد بن علي بن غزلون، وأبو علي بن سكرة الصدي، وأبو بكر الفهري الطرطوشي... وسواهم وتفقه به أئمة، واشتهر اسمه، وصنف التصانيف النفيسة. وقد ولي القضاء بمواضع من الأندلس، وكان جليلا رفيع القدر والخطر، قبره بالمرية، قال أبو علي بن سكرة: مات أبو الوليد بالمرية في تاسع عشر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمئة فعمره إحدى وسبعون سنة سوى أشهر. (1)

### المطلب الثاني: اسهاماته الفكرية والعلمية

لا مندوحة عن القول بأن الإمام أبو الوليد الباجي من الشخصيات الشهيرة بالقرن الخامس الهجري، حيث لعب هذا العالم الفقيه دورا مهما في ازدهار الحياة الفكرية بالأندلس نتيجة تكوين

1- سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي،

مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م (18/536-544) - بتصرف.

علمي متين أهله ليكون أحد أعلام الفكر في مختلف أصناف العلوم كالفقه وأصوله والجدل ومناوشاته واللغة ودواوينها. وقد امتاز نشاطه العلمي بإثراء الحياة الفكرية والجدلية، ففي مجال الأدب كان له موضوعات متعددة ومتنوعة في الشعر يعبر من خلالها عن خواجه النفسية والذاتية مضمنا إياها أساليب المدح والشكر والثناء والزهد والسفر، وله أيضا مقتطفات من النثر في فنون الجدل على شكل رسائل تعليمية موجه لأغراض دعوية بأساليب خطابية واستفهامية وتعجبية، كما كان له اهتمام بالعلوم النحوية والصرفية باعتبارها علوم مساعدة للعلماء والفقهاء في مجال الفقه وأصوله. أما في مجال الجدل فنجد الإمام أبي الوليد ضليعا في أصول الفقه وعلم الكلام والذي مكّنه من الخوض في العديد من المناظرات الفقهية ذات الطابع الفكري الجدلي المحض لغرض الدفاع عن عقيدة المسلمين السنية وتصحيح بعض أوجهها من التوجهات المذهبية وفق أصول ومبادئ المذهب المالكي، وعمد الباجي إلى توليف عدة كتب في الفقه و لجدل مستمدا مادته من كتاب الله وسنة نبيه وأصحابه سالكا المنهج الاجتهادي القائم على النظر والاستدلال والإرشاد<sup>(1)</sup>. قال القاضي عياض: "... ولي القضاء بمواضع من الأندلس، وصنف كتاب المنتقى في الفقه، وكتاب المعاني في شرح الموطأ، فجاء في عشرين مجلدا، عديم النظير. قال: وقد صنف كتابا كبيرا جامعاً، بلغ فيه الغاية، سماه: الاستيفاء، وله كتاب الإيلاء في الفقه خمس مجلدات، وكتاب السراج في الخلاف لم يتم، ومختصر المختصر في مسائل المدونة، وله كتاب في اختلاف الموطآت، وكتاب في الجرح والتعديل، وكتاب التسديد إلى معرفة التوحيد، وكتاب الإشارة في أصول الفقه، وكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول، وكتاب الحدود، وكتاب شرح المنهاج، وكتاب سنن الصالحين وسنن العابدين، وكتاب سبل المهتدين، وكتاب فرق الفقهاء، وكتاب التفسير والذي لم يتممه، وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج.

قال الأمير أبو نصر: "أما الباجي ذو الوزارتين ففقيه متكلم، أديب شاعر، سمع بالعراق، ودرس الكلام، وصنف ...، إلى أن قال: وكان جليلا رفيع القدر والخطر، قبره بالمرية."

1- الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة

الدكتوراه لحبيب صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022 .

وقال القاضي أبو علي الصدي: "ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحدا على سمته وهيئته وتوقير مجلسه." (1)

لا غرو أن الامام الباجي سعى في مناظراته إلى إبراز مكانه متميز المذهب المالكي وقيمه العلمية والعقدية في الرد على المخالفين من مختلف الفرق والمذاهب، منتصرا لأهل العقيدة الإسلامية السنية. وقد ساهم الفكر الجدلي للإمام في تخلص الحلبين من الفكر الشيعي وتحويل أنظمة حكمهم إلى النهج السني وكذا تنبيه الأندلسيين إلى مكانه القصور في المذهب الظاهري، فأهله هذا الدور بأن يكون الفقيه المصلح والمرشد، الذي أضحي اهتمامه الفكري والجدلي مرجعية علمية وفكرية للعديد من الفقهاء والعلماء والطلاب في مختلف العلوم (2). وفي المحور الموالي سنلمس مكانه نبوغ هذا الامام من خلال مناظراته.

---

1 - سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م (18/538-539).

2 - الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة الدكتوراه لحبيب صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022.

## المصور الثالث: مناظرة الإمام أبو الوليد الباجي لكوكبة من علماء عصره

### المطلب الأول: مناظرات أبي الوليد بالمشرق:

جرت للإمام أبي الوليد جملة من المجالسات والمناظرات مع بعض شيوخه ومختلف فرق الشيعة كان لها دور في إثراء الحياة الفكرية نحاول أن نذكر ما أمدتنا به المصادر التاريخية.

• مع أبي جعفر السمناني: ذكر ابن الأزرقي في كتبه أنه جرت لأبي الوليد مناظرة علمية بخصوص وجوب التحلي بالآداب ممن يعترف بفضلهم في العلم باعتبارهم الأسوة وأصحاب السبق فيه لمصلحة الأمة وتدبير الدين وخير ما نستدل به ما أورده عياض عن الباجي فقال: "كنت أقرأ عند القاضي أبي جعفر السمناني بعض كتبه، وجاء كلام القاضي أبي بكر المقصود بأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ثم كلامه هو أي السمناني، فكأنني استحسنت كلام السمناني، واستضعفت كلام القاضي، فقال لي الشيخ ألسنت أقول لك: إنك مغربي جاف، لو حضر القاضي لنصر جوابه بما يفضل به كل من سمعه" أضاف ابن الباجي أبو القاسم عن أبيه أن السمناني قال له على أقل من هذا أخرج القاضي أبو بكر أبو عبد الله الأدرسي من بغداد، وقال في وصف ذلك جرى في مجلس القاضي أبو بكر بحضرته ذكر إجماع أهل المدينة فقال الأدرسي: يغلط مالك فيما لا يغلط فيه العقلاء، فقال له القاضي أبو بكر: يا أعجمي الكُنْ، تذكر إمام دار الهجرة بحضرتي، أخرج من بغداد، وإلا أهلكتك فكان سبب خروجه.

• مع أبي إسحاق الشيرازي: ذكر ابن الأزرقي فصل في الصبر على تأديب الشيخ متى صدر منه ما يستحق لأجله أن يؤدب ما جرى بين أبي الوليد الباجي وشيخه، أبي إسحاق الشيرازي. حكى عياض عن أبي الوليد قائلاً: كنت أدرس عند أبي إسحاق الشيرازي ببغداد وكان سني قريباً من سنه إذ كنا من نحو ثلاثين عاماً، وكنت المعيد على أصحابي، وكانت لي عنده حظوة ومكانة، فسهرت ليلة فأدركني لذلك تغير في ذهني. فلقنني من غد على العادة، وقمنا من بين يديه، وجلسنا على مقربة للمعاودة فتوقف على منها شيء، فهبت أن أسأله، وجعلت بعض الحاضرين يسأل، فأجابه ثم توقف علينا موضع آخر، فجعلت من يسأله فانتهرنا وأغلظ علينا فقمنا موبخين، فنمت

ثم دخلت الحمام، وألقيت على رأسي الماء الحار معاناة للسهر بترطيبه ثم جئت للشيخ ولاطفته ورغبت إليه، فقال لي: أما لعذرِكَ فنعم، وأما لغيرِكَ فلا، فأعادها علي.

• مع بعض فرق الشيعة: كما جرت للإمام أبي الوليد جملة من المناظرات العلمية الكلامية بالمشرق في الفقه وأصوله مع فرق الشيعة بحلب نحاول ذكرها فيما قاله الباجي عنها: "وكنت أنزل بالكوفة بدار أبي الفرج هذا، وكانت أمه وخالته تخدماني وهو يتولى خدمتي فيما نشترى من السوق، وكان أبوه نعم الشيخ، فلما وصلت إلى الدار، وجدت بها أباه ولم يكن أبو الفرج حاضرا فأدخلني الدار، وجلست إلى أن طلب أبو الفرج فحضر وسلم وتحادثنا ساعة ثم قال: كيف دخلت؟ قلت بغير إذن، وأعلمته صفة دخولي، يعني أن البلد لا يدخله أحد إلا بإذن السلطان غير أنه تيسر له الدخول". قال أبو الفرج: أخاف أن يعرف بك، ولكننا نخرج ونستأذن لك، فقلت له: أريد المقام، ولعلني سأنهض بعد يومين فقال: وفي مدة مقامك تكون في البلدة وفي موضع حسن وربما استدمت المقام أياما، فخرج فاستأذن لي فأذن له، ودخلت المدينة ونزلت بقرب جامعها، وذلك يوم الخميس وكان في الجامع مجلس يجلس فيه أبو الحسن وذكر معرفة غريبة. قال: وكان ناسك البلدة وكان مع ذلك يتعلق بشيء من العلم، ويذهب مذهب الاعتزال غير أنه عظيم القدر عند أهل البلد، وقد غلب على أهل البلد ومعظمهم التشيع، فكان أعيان البلد من أصحاب السلطان، وغيرهم يحضرون مجلسهم يوم الجمعة قبل الصلاة وبعدها... وبلغ به الميل إلى ضرب بعض الشيعة المتعصبين لعلّي، وأخرجهم من البلد، وظهرت كلمة السنة، وقعدت للإقراء كتاب البخاري، وفشت فيهم السنة، وكانت الفتوى فيها على مذهب مالك - رحمه الله - مدة مقامي بها، وبلغ ذلك القاضي أبا جعفر السماني، شيخنا - رضي الله عنه - فكاتبني يقول لي: "استفتحت بلدا ما استفتحت القاضي أبو بكر مثله، وكان بالقرب مني أبو العلاء المعري، الساكن بمعرة النعمان: فقبض بساطه في تلك المدة إلى أن استدعاني إلى المغرب من كان بها من الوالدة والإخوة والأهل، فخرجت منها في صدر تسع وثلاثين وأربعمئة". (1)

1 - الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة الدكتوراه لحبيب صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022 (ص: 215-220).

## المطلب الثاني: مناظرات الامام الباجي بالأندلس

لا جرم أن الامام الجليل خاض حروب كلامية شعواء ومناظرات فكرية عديدة مدفوعا بحبه للمذهب المالكي ورغبته في نصرته، فكانت النتيجة ثروة معرفية وتركعة علمية قيمة خلفها هذا الجهد. فبعد تلقى الإمام الباجي التكوين العلمي اللازم في علم الأصول والجدل والكلام خلال تواجده بالمشرق عن علماء حذاق في هذه العلوم، بسبب احتكاكه الدائم بهم، وحضوره مجالسهم ومناظراتهم العلمية، أهله كل هذا أن يصبح العالم المتميز الوقور المهيب وازدادت شهرته أكثر، بعد رجوعه للأندلس حاملا لأصناف تلك لعلوم، بعد نيله الحظ الوافر منها وجلبه مؤلفاتها، فروى بها ودرس وألف مما سمح له بكسب المكانة العلمية والدرجة الرفيعة والمنزلة العالية بين علماء عصره حتى أثنى عليه جلهم بحيازته الرئاسة العلمية بالأندلس أين سمع عليه بها علم وفير وتفقه عنه خلق كثير حتى قيل أن الباجي كان يحضره ثلاثة آلاف رجل للسماع منه، وقيل أربعون ألف رجل . قال عنه عياض عقب وروده الأندلس: " فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من الإتيقان والتحقيق والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته "، وقال ابن خاقان: «انتقل من محجر إلى ناظر، وتدل من يانع بناضر ". كل هذه الصفات التي تميز بها مكتبته من المساهمة في إثراء الحياة الفكرية الجدلية بالأندلس على المستوى النظري الذي حاز على حصة الأسد من خلال تصنيفه لمؤلفات يهتدي إليها من ليس لهم دراية بعلم الجدل يتم من خلالها عرض مسائل فقهية وأصولية والإجابة عنها لدى مختلف المذاهب مع كيفية الاستدلال لها وفق منهج علمي مستمد من الشريعة، أما على المستوى التطبيقي، فقد أسهم أبو الوليد الباجي في جانب منه بدخوله وخوضه في غمار المناظرات العلمية، وكيفية الاحتجاج على الأسئلة والأجوبة وفق براهين مستمدة من الكتاب والسنة، حيث نجد أن المسائل التي شاهدها أو ناظر فيها الإمام الباجي، كان لها دور في معرفته لأسرار علم الجدل والإحاطة بالجوانب المتعلقة به والتمرس على طرقه وتطبيقها ميدانيا، وما يدعم هذا التطبيق المناظرات العلمية التي جرت له والمجالس التي عقدت بخصوصها كانت تتم أمام مرمي جمهور من الفقهاء والعلماء وطلبة العلم، الأمر الذي يفسح المجال لهم في التمرن

فيها مروراً بمعرفة المتناظرين وموضوع تناظرهما وطرق ومنهج احتجاج كل طرف ضد خصمه وفق مذهبه وسبل استدلاله وتأويلاته واجتهاداته وصولاً إلى نتائجها. (1)

• **مناظرته لابن حزم الظاهري:** أشارت المصادر أنه عقب عودة أبو الوليد إلى الأندلس جرت له مناظرات ومجالس مع العديد من العلماء لعل أبرزها تلك التي كانت مع ابن حزم الظاهري الذي وجد لكلامه طلاوة وصيتاً عالياً وظاهريات منكرة وله علم بفنون قصر الفقهاء المالكيين عنها استهدف بها فقهاء عصره، بسبب حمله علمه ومجادلة كل من خالفه لمذهبه ويرجع ذلك سبب عجز الفقهاء عن مناظرته كونهم ليست لهم دراية وتحقيق باستعمال النظر لذا لم يتمكن أحد بمناظرته فعلاً شأنه وسلموا له الكلام وحادوا عن مكالمته... كما أنه لم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه، مع العلم أنه كانت له عيوب منها جهله بسياسة العلم، إضافة إلى خروجه عن المذهب المالكي، وشن الغارة عليه وضرب المناهج الفقهية للمذهب عرض الحائط بكل عنف ومحسب أن الفقه يعتمد على النصوص وحدها وأنه لا يمكن للعقل الشرعي الخوض فيها وإن خاض فيها لا يأتي بالأحكام الشرعية، وكل هذا العمل الذي قام به ابن حزم كي يستند إلى دعم ومساندة من والي ميورقة أحمد بن رشيق الذي وافته المنية سنة 440هـ، إلى أن تصدى له أبو الوليد بعد عودته من رحلته كون هذا الأخير عنده معرفة بطرق الجدل والمناظرة إثر تحصيله العلمي بالمشرق. وجاء في كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل ".. قدم أبو الوليد الباجي إلى موطنه بالأندلس وعنده زاد كاف في علم الجدل وآدابه وعلم الشريعة والأصول والعقليات، فضلاً عما كان يتمتع به من قدرات فكرية عالية تؤهله للدخول في مناظرات علمية تكشف للناس الحق وتساعدهم على فهم الحقيقة، وكان الباجي أثناء تنقلاته قد خاض العديد من المجادلات العلمية مع خصوم له سواء في مرسية مع أبي حفص عمر بن حسين الهوزني كبير فقهاء إشبيلية، أو بالدانية أو ميورقة وغيرها من مدن الأندلس، فأقام عليهم الحجة، وأثبت البينة وعزز الدليل بما حباه الله من إمكانيات فكرية وعلمية تساعده على ذلك، فاكسب سمعة كبيرة بين العلماء ورجال العلم، الأمر الذي دعاهم إلى الإلحاح عليه لمقابلة أبي محمد ابن حزم الذي لمع نجمه

بالأندلس، عرف فضله وتفوقه العلمي، لما كان يتمتع به من غزارة علم، وقوة ذاكرة، وكثرة إنتاج فكري في مختلف العلوم والفنون مع تشييعه على الأئمة وأهل الفضل، فأفرط في القول بظاهر النصوص، وأنكر القياس وتعليل الأحكام وغيرها من ظاهريات أشاعها في ربوع الأندلس، وحصنها بقوة بيانه وحماها بحدة لسانه، ولم يكن يقوم أحد بمناظرته لجهلهم بعلم الجدل والمناظرة فاستهوى قلوب الناس وأخذ عقولهم، فاعتز بأقواله العامة، وسلم الكلام له الخاصة على اعترافهم بتخليطه.

ولما انتدب العلماء أبا الوليد لمناظرته، لبي الدعوة وقبلها بعدما عرف من أحواله الكثير، إرادة منه أن تكون هذه المناظرة سبيلا لوقف انتشار المذهب الظاهري، ورغبة في رد الاعتبار للأئمة الفضلاء الذين كانوا عرضا للسان ابن حزم هكذا التقى الرجلان بميورقة سنة 439 هـ، بحضرة الوالي أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب، وتحت رعايته جرت بينهما مناظرة في موضوعات متفرقة أصولية بصورة خاصة، تصب في مسألة نفي القياس وإبطال الرأي وتعليل الأحكام وما يترتب عن هذه القضايا من فروع فقهية، وحسب جمهور المترجمين والمؤرخين أن ابن حزم خرج من هذا المجلس مغلوبا بالحجج والبراهين التي أقامها الباجي وجادل بها خصمه وظهر تفوقه بارزا، وفي هذا السياق يقول القاضي عياض: فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة، وقد كان رأس أهلها، ثم لم يزل أمره في سفال فيما بعد، وكان من نتائج هذه المناظرة مغادرة ابن حزم لميورقة، وقدوم المعتضد بن عباد على إحراق كتبه بإشبيلية... والحقيقة أن هذه المناظرة العلمية على الرغم من فوائدها فإن المؤرخين لم يшиروا إلى الموضوعات والقضايا محل المناقشة، بل أحالوا إلى كتاب فرق الفقهاء لأبي الوليد الباجي الذي لم يصل إلينا لذلك يتعذر الكشف عن وجوه المناظرة والظاهر منها بحجة<sup>(1)</sup> وعلى إثر اتجاه الفقهاء المالكيين في إبعاد ابن حزم، حذا الملوك حذوهم وانتهجوا سياسة الإقصاء ضده، فأبعدوه عن أوطانهم وانتهوا به إلى بادية لبلة وبقي هناك إلى غاية وفاته، فبعد إخراجه من قرطبة أخرج من ميورقة وتلاها إخراجه من

---

1 - الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، تحقيق: محمد علي فركوس، المكتبة المكية، مكة المكرمة، دار البشائر الإسلامية (بيروت) الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م (ص: 106-108).



إشبيلية التي لم يلق الترحيب من بني عباد الذين ألحقوا بيه الهزيمة المعنوية. فكان الإمام أبو الوليد العالم المالكي الوحيد الذي تم الاعتماد عليه في التصدي لابن حزم والتغلب عليه والحد من تفوقه وإبطال معتقداته الفكرية والوقوف في وجه مذهبه. ولم تقتصر المناظرات العلمية للإمام الباجي مع العلماء العرب بل ذاع صيته وناظر رهبان الغرب كذلك.

• مع راهب فرنسا: شهدت مناظرات الإمام أبي الوليد نشاطا ظاهرا منذ أن وطئت أقدامه أرض الأندلس فناظر عن المذهب المالكي بكل جوارح فكره، فنجد له مناظرة مع أحد الرهبان الفرنسيين ويظهر لنا من خلال مضمونها أنها تكشف أحد جوانب الجدل الديني العقدي بين المسلمين والنصارى والاحتكاك الثقافي بينهما خلال فترة عصر ملوك الطوائف.<sup>(1)</sup>

وهي في حقيقتها عبارة عن مجموعة من المراسلات التي كانت تتكرر بين راهب فرنسا والإمام الباجي مفوضا عن المقتدر بن هود صاحب سرقوسة 2 ودليل ذلك في رد الباجي على الراهب قائلا: " ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك، تعينت علينا مفاوضتك فيما راضينا هذا من مسألتك ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك الذي يجري إليه الفضل".

يظهر من خلال رسالة الراهب الفرنسي أنه هو صاحب المبادرة بإرسال الرسائل إلى بني هود حسب ما ورد في كتابه لهم قائلا أنهم بلغتم الدرجة الرفيعة في الدنيا والبصيرة النافذة لها، وأورد أنه أرسل إليه كتابا قبل هذا وراجع عليه الباجي جوابه وفي هذا الصدد يقول الراهب فقد قال: " وإنك قد رأيت كتابنا إليك الذي راجعت عليه مراجعة نبيلة على حسب نظر أهل الدنيا ولم تكن بحسب مطلوبنا من المراجعة الروحانية، لذلك تراخى زماني بمراجعتك إذ توقعنا أن نتكلف تعباً لا نجتني به ثمرا " فقرر مراسلته ودعوته إلى الدخول إلى الدين النصراني ويبدوا أن الراهب أرسل وفدا من القساوسة من ملة النصارى يشرحون للمقتدر العقيدة النصرانية ويعرفوه بالمسيح الذي عندهم الله والمنقذ من هلكة إبليس ووجوب الإيمان به دون غيره، فأعرض الباجي في استحالة دعوة الراهب، وأنه ما كان ينبغي أن يخاطب به وراسله مجيبا عن ما بدر منه في رسالته داعيا الله أن يخلصه

1 - الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة الدكتوراه لحبيب

صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022 (ص: 225) .

من وصمته فقد أورد إليه أن عيسى هو بشر مخلوق وعبد مريبوب لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكون والزوال والانتقال والتغير من حال إلى حال من أكل الطعام والموت الذي كتب على الجميع، وهو من ذرية آدم وولده ولم يكن آدم إلها وظهert له معجزات مثل بقية الأنبياء والرسل وأن إحياء الموتى يدل على مدعي النبوة ولا يدل على أنه الإله معبود ولو جاز ذلك لجاز أن يقال للأنبياء والرسل الذين ظهرت على أيديهم معجزات الآلهة معبدون وأنه ذلك محال فلا خالق إلا الله ولا معبود سواه وأن هذه المعجزات ظهرت بفضل الله ولا يقدر عليها سواه... وأشار الباجي إلى أن رسالة الراهب النصراني حملت تناقضا واضحا في طياتها مخالفة ملته النصراني فقوله وجوب الإيمان بالمسيح دون سواه، هو أنه لا وجود لطائفة نصرانية تقول بهذا وإنما ما هو معروف عندهم أنه هو الإيمان بالأب واجب وهذا تناقض في تقولهم الإيمان بالمسيح الذي هو ابن الله عندهم دون غيره واستدل الباجي حول هذا التناقض بسبب قلة العلم في ملة النصراني والبعد عن مقاصد المناظرة وترك المدارس والمحاورة، إضافة إلى التمويه والتلفيق والتغليط والكذب، وأورد الباجي كلامه قائلا: " أرجو أن يوفق الله بإرشادنا لك إلى ترك التمويه والتعلق بالمغالطة والكذب، ويعوضك علم الحقائق، وصحيح المقاصد، وأدب المناظرة التي تفضي بك إلى السبل اللائحة والحقائق الواضحة ". كما أضاف الباجي في رسالته للراهب بعض الغرائب في أقوال النصراني منها أن المسيح بذل دمه في خلاص العباد وأنه من غير الممكن أن يكون للرب دم والدم جسم محدث مخلوق، إضافة إلى تقولهم بأن المسيح مات مصلوبا وهي صفة محدثة تقع على المخلوق إن كان إله لما لم يذب الموت عن نفسه ولم يقدر على دفعها. (1)

## خاتمة

لا غرو أن إمامنا الجليل رحمه الله ترك آثاراً علمية نافعة، وثروة وافرة قيمة من الكتب والرسائل في مجالات شتى وفنون متنوعة جمعت بين المنقول والمعقول، والرواية والدراية، تشهد له بالمعرفة، وسعة علمه، ومكانته الراقية بين علماء زمانه. ولعل ما حثه على الدأب على التحصيل العلمي والتوليف هو رغبته في الدفاع عن المذهب المالكي ونصرته، فتمكن بتوفيق من المولى عز وجل من

1 - الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة الدكتوراه لحبيب

صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022 (ص: 226) ..

صرف أمير حلب عن المذهب الخارجي ونبذ المخالفين من الشيعة والمعتزلة، وكذا كانت له اليد العليا في مناظرته مع ابن حزم الذي أناب علماء الاندلس وأفحمه. كما تحتسب له إنجازات عديدة في المجال الفكري والعلمي والقضائي والسياسي، فهذا رجل متعدد المواهب عين من عيون المعرفة الإسلامية التي أغدقت الأرض بخيرها بتوفيق رباني قويم. فإزاء الوضع المتردي لمسلمي الأندلس برزت مواقف كثير من الفقهاء وقفوا بصمود تجاه التحديات الصليبية، ولم يتوانى أبو الوليد الباجي عن استغلال فرصة إلقاء دروسه ومحاضراته لحث الناس على الجهاد وإذكاء الحمية الدينية والأنفة الإسلامية، كما تجلت مواقفه أيضاً من خلال السفارات والوساطات بين أمراء الطوائف، ودعوتهم للتوحيد والتصدي للخطر الصليبي. ولعمري ان هذا الجهد قدم للعالم الإسلامي خدمات جليلة، تقتضي ان نحتمي بها ونفتخر بصاحبها ﷺ واسكنه فسيح جنانه، وجزاه الله كل خير عنا وعمن سيلينا ويتنفع بعلم هذا العبد الصالح. والسلام مسك الختام.

## لائحة المصادر والمراجع المعتمدة بالعرض

- القرآن الكريم.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، تحقيق: محمد علي فركوس، المكتبة المكية، مكة المكرمة، دار البشائر الإسلامية (بيروت) الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م
- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت: طبعة: 1985 م
- المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لهيثم قاسم موسى الحمري.
- آداب البحث والمناظرة، لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، مطبوعات المجمع، جدة.
- الإحكام في أصول الأحكام لابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- الإسهام العلمي لأبي الوليد الباجي فكرا وجدلا خلال القرن الخامس هجري، مقتطف من أطروحة الدكتوراه لحبيب صبان، جامعة ابن خلدون، تيارات، لسنة 2022
- المناظرات العقدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لهيثم قاسم موسى الحمري، دار النصيحة - الرياض الطبعة: الأولى، 1440 هـ / 2019 م
- سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م
- قيمة المناظرة في إثراء الفكر الإنساني، مقال الكتروني بموقع الجزيرة، لعادل أعياشي، صادر بتاريخ: 31/7/2018.
- معجم مقاييس اللغة، لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، طبعة: 1399 هـ / 1979 م.